رسالتان خطيتان
للعلامة المحدث عبد الرحمن المعلمي
أرسلهما من الديار الهندية

الأولى: إلى والده: الفقيه العماد يحيى بن علي المعلمي

الثانية: إلى صهره: الفقيه محمد بن سليمان المعلمي

وكلاهما في ناحية عتمة بالديار اليمنية

أعدها وعلق عليها

أحمد بن غانم الأسدي

تمهيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ولي الحمد ومستحقه، وصلى الله على خير أنبيائه وسيد رسله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته.

أما بعد: فهاتان رسالتان خطيتان للمحدث المحقق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي بعثهما من مدينة حيدر أباد بالديار الهندية إلى ناحية مسقط رأسه بلاد عتمة، بديار اليمن.

الأولى: إلى والده الشيخ الفقيه الصالح: يحيى بن علي بن أبي بكر المعلمي المتوفى سنة (١٣٦١). يعتذر في صَدْرِها عن تأخر وصول رسائله إليه، ويُلْقي باللائمة على البريد المُفَرِّطِ في إيصال تلك المكاتيب.

ثم لبى طلب والده وأطاع أمره في توصيف البلد الذي يعيش فيه وهو الهند، فكتب في وصفه أرضًا وإنسانًا، بما شمل تفاصيل الحياة العلمية بطرقها ومذاهبها وفرقها، ثم عَرَّجَ إلى الديانات المتَّبعة هناك، وفي طيَّات ذلك التوصيف: إشارات في تحديد موقفه من بعض تلك الفرق مدحًا ونقدًا، كما شملت تفاصيل أخرى سيجدها القارئ في ثنايا هذه الرسالة الميمونة.

الرسالة الثانية: إلى صهره: الفقيه محمد بن سليمان المعلمي المتوفى ليلة الجمعة ٢٤شعبان سنة (١٣٦١)، زوج أخته: ميمونة بنت يحيى بن علي المعلمي، صَدَّرَها بفرحه بوصول كتاب والده إليه، بعد انقطاع أوجس في نفسه خيفة أن سببه: غضبه عليه، ثم ثنى بالشكر لصهره على حُسْنِ رعايته لخاطر والده الفقيه: يحيى بن علي المعلمي، وغبطته له في ذلك، وتبشيره له بالبركات العاجلة والآجلة، من الله تعالى، ثم طلب منه إقراء السلام على شيخ ناحية عتمة في ذلك الوقت الشيخ: سعيد بن أبي بكر معوضه، وعتبه عليه إيثار راحته في ترك الوظيفة ، على القيام بمصالح الناحية، الذي سبب حرمانًا لأهلها من منافع قيامه بذلك.

ثم كشف له أنه متوجس خيفة من أخيه: عبد المجيد بأنه مقصر في خدمة والده، انشغالاً بالدنيا، بسبب عدم ذكر والده له في رسائله إلى الشيخ، لكنه استدرك بطلب التأكد من ذلك، فعندئذٍ عليه إعانة

عبد المجيد على نفسه والشيطان، بالعودة إلى بر والده، والقيام بخدمته؛ محذرًا له: أن الإخلال بخدمة الوالد في آخر عمره، هو غاية الحرمان ونهاية الخسران، ثم سرد بعض الأحاديث الشريفة في فضل بر الوالدين، والتحذير من عقوقهما، كما تناول في رسالته أمورًا أخرى، سيجدها القارئ حينما ترسو به سفينة التطواف –في علوم هذا العالم النحرير–عند شاطئ هاتين الرسالتين اللتين تقطران أدبًا مبجلاً، وإحساسًا مرهفًا.

وهاتان الرسالتان ليستا في «آثار المعلمي» المنشورة عن دار عالم الفوائد بمكة، وفق المنهج المعتمد من العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

وقد أرسل بهما إليَّ الشيخ الأديب عبد الرحمن بن عبد القادر المعلمي حفظه الله وأدام نفعه، وهو ابن أخت الإمام المعلمي، وهو حصل عليها من عامل الأوقاف ببلاد عتمة: الشيخ محمد بن أحمد المعلمي حفظه الله، الذي أفادني ببعض المعلومات التاريخية هنا، فشكر الله له وأثابه، وختم له بالحسنى.

وقد كان بين والده وبين العلامة المعلمي مراسلات، لعلي أنشر بعضها في قابل الأيام، بإذن الله الملك العلام.

والرسالة الأولى منقولة بخط الفقيه عبد الرحمن بن بن محمد بن أحمد بن عبد الكريم المعلمي المتوفى في (٢٩جمادى الآخرة سنة ١٣٦١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أما الثانية فهي بخط الإمام المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

وكتب

أحمد بن غانم بن حسن الأسدي

ضحى الأحد الثامن من شهر الله المحرم سنة (١٤٣٨) [1]

(١) لا أرمز للتاريخ الهجري بحرف «هـ»؛ جريًا على سنة الأسلاف، وسنة الأسلاف نرويها؛ لأنه ليس لدينا معشر المسلمين تاريخ سواه، والتاريخ الميلادي ليس قسيمًا له، وممن قفى عمل المسلمين في ذلك نجومٌ ثلاثة: أحمد شاكر، والمعلمي، وبكر أبو زيد. رحم الله الجميع. انظر: حاشية «المدخل المفصل» (١/ ١٢)، حاشية «الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان» (١٨) ط: ٣، كلاهما للشيخ بكر، «وصية الإمام عبد الرحمن بن يحيى المعلمي»، بتعليق راقمه (٧٩).

ترجمة موجزة للمعلمي

هو الإمام المحقق العلامة المتفنن ذهبي العصر[1] عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن الحسن ابن صالح المعلمي- بضم الميم وفتح العين وتشديد اللام المكسورة وكسر الميم بآخره ياء النسبة-.

ولد في أواخر سنة (١٣١٢) بقرية «المحاقرة»- بفتح الميم والحاء وكسر القاف وفتح الراء-إحدى قرى مِحلة «الطُفَن» عزلة «الغَرَابي» مِخلاف «رازح» منطقة «عُتُمَة» التابعة للواء «ذَمَار اليمنية».

وتربى في حجر والديه، وقرأ القرآن وبعض علومه على والده، وبعض فقهاء بلدته.

ثم سافر إلى منطقة «الحُجرية» التابعة للواء «تَعِز اليمنية» حيث يقطن أخوه الأكبر محمد كاتبًا في المحكمة الشرعية، وهناك أشُرِك في مكتب تابع للحكومة يُعلم فيه: القرآن، والتجويد، والحساب، واللغة التركية- لخضوع مناطق يمنية للحكم العثماني آنذاك-

ودرس على أخيه بعضًا من: الأجرومية مع شرح الكفراوي، ثم عزم على الرجوع إلى عزلة «بيت الريمي»- في عتمة- التي استوطنها آنذاك والده العلامة الفقيه العماد: يحيى بن علي المعلمي- رحمه الله تعالى- فاصطحب معه بعض كتب النحو، فكان يتدارسها مع الشيخ أحمد بن مصلح الريمي- رحمه الله تعالى-، ثم رجع إلى مسقط رأسه الطفن، وهناك كان يتربع على كرسيها العلمي: العلامة الكبير أحمد بن محمد بن سليمان المعلمي- رحمه الله تعالى- فأخذ عنه في الفقه والفرائض والنحو.

ثم رجع إلى بيت الريمي كرة أخرى، قرأ فيها: «الفوائد الشَّنْشُوْرِيَّة في شرح المنظومة الرحبية»، ثم سافر إلى الحُجرية وبقي مدة، ثم رجع إلى عتمة كاتبًا لقاضيها.

وبسبب سوء معاملة حكام اليمن في ذلك الوقت لمخالفيهم في المذهب فرَّ الإمام المعلمي سنة (١٣٣٧) إلى جازان الواقعة حينئذ تحت إمرة الشريف محمد بن علي الإدريسي المتوفى سنة (١٣٤١) وهناك اعتلى منصب رئاسة القضاء بتعيين الإدريسي الذي أضفى عليه لقب شيخ الإسلام، واستمر في القضاء وتسيير أمور الدولة الإدريسية بحضرة الإدريسي حينًا وفي غيابه حينًا آخر، حتى توفي الإدريسي، فانهارت دولته؛ لضعف ابنه الذي خلفه في الحكم، وقلة اهتمامه بالعلم والعلماء، الأمر الذي أدى بالإمام المعلمي إلى أن يستعد للرحيل من هناك، والبحث عن مكان آمن، فاتجه متخفيًا إلى الحديدة، - إحدى مُدن اليمن الساحلية- ثم إلى عدن،- ثغر اليمن الباسم- وبقي فيها نحو سنتين،

(١) أطلق عليه هذا اللقب كوكبة من علماء عصرنا، وعلى رأسهم العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

مشتغلا بالوعظ والتأليف، ثم انتقل إلى مدينة زنجبار، التابعة لمحافظة (أبين)، ثم رحل إلى (إندونيسيا)، عام (١٣٤٤) وبقي فيها نحوًا من عام، ثم رحل إلى (الهند)، التي وصلها سنة (١٣٤٥)،. وهناك:

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا واستقر بِهَا النَّوَى كَـــــمَا قرعينـــــا بالإيـــــاب المُسَـــــافِرِ

استمر- رحمه الله تعالى- في الهند ما يربو على ربع قرن من الزمان، اشتغل فيه بالتأليف والتصحيح والتحقيق، لبعض الكتب الإسلامية فاشتهر صيته في الآفاق؛ لجودة التحقيق، ومتانة التدقيق، من هناك من دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن، الصرح العلمي الشريف، والطود الأدبي المنيف، في أيام علمية مضت، وسنين زاهية ولت، أما اليوم فالحال مؤسف.

وبعد أن ساءت الأوضاع في الديار الهندية، وتسلط الهندوس على مقاليد الأمور عزم الإمام المعلمي على الرحيل إلى بلد الله الآمن مكة -حرسها الله وزادها تشريفًا وتكريمًا-سنة (١٣٧١)، وهناك ألقى عصى الترحال ولكن لم يخلد إلى الراحة، بل ازداد نشاطه العلمي، فكثر إنتاجه وخاض بحار العلوم، وخاصة علم الحديث الذي كان أحد فرسانه، فأثرى المكتبة الإسلامية بتحقيقات رائعة، وتقريرات فائقة، تسنم بذلك منزلة المرجعية في زمانه وإلى ما شاء الله.

وقد بلغت أعماله العلمية فوق الثمانين تأليفًا، وتحقيقًا ومشاركة في التحقيق.

ومن أشهرها: «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل»، و «رفع الاشتباه في معنى العبادة والإله، وتحقيق معنى الشرك بالله»، ويعرف بكتاب «العبادة». و«الأنوار الكاشفة بما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والمجازفة»، و«عمارة القبور»، و«جواز تأخير مقام إبراهيم»، وغير ذلك. وقد جُمِعَتْ آثاره وطبعت في (٢٥) مجلدًا، صادرة عن دار عالم الفوائد، بمكة، وفق المنهج المعتمد للعلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

وبعد هذه الحياة العلمية- مع فراق الأهل والوطن في رحلات متعددة، كان نتاجها عظيمًا، ونبعها غزيرًا. توفي الإمام المعلمي- رحمه الله تعالى- صبيحة يوم الخميس السادس من شهر صفر عام (١٣٨٦).

وأخبار هذا العَلم شيقة، متنوعة. أودعت- ما تيسر منها- في رسالتي «الإمام عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني حياته وآثاره» وقد طبعت والحمد لله.

الرسالة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سيدي الوالد العماد الفقيه يحيى بن علي المعلمي حفظه الله، ورزقني دوام رضاه، وصالح دعاه، آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصل والحمد لله تعالى كتاب والدي المؤرخ نصف ذي القعدة سنة (١٣٥٠)، فحمدت الله تبارك وتعالى على صحة والدي، ورضاه عني، أسأل الله دوام ذلك.

ذكرتم أن كتابي الأول تأخر إلى أواخر رمضان، وليس ذلك بقصد مني، وإنما وقع التحيُّر[١] في الطريق، وعلى كل حال فالحمد لله تعالى على وصوله، وعلى تيسر الواسطة، وعبد الولي سنان أنا عارفٌ له، وأما ابن عمه فلا.

أمرتوني أن أصف لكم محلتي، والبلد، و...و...

فأولاً: أصف لكم الهند، فالهند قطعة عظيمة من الدنيا، أكبر من اليمن بأضعاف مضاعفة[٢] فإن العارفين يقدرون سكان اليمن بألفي ألف[٣] وسكان الهند بأربعمائة ألف ألف[٤]، وهي شرقي اليمن،

---

(١) التحيُّر، بمعنى: الاحتباس، والركود، لم يمض لسبيل.

(٢) تبلغ مساحة الهند في التقدير المعاصر: نحو **٣,٢٨٧,٥٩٠كم²**، وتفصل المرتفعات الجبلية معظم شمالي الهند عن بقية آسيا. وبينما النصف الجنوبي شبه جزيرة على شكل مثلث يمتد في المحيط الهندي. ويقع بحر العرب غربي الهند، وخليج البنغال في شرقيها. ويقدر طول الساحل **٦,٨٤٣كم منه ١,٣١٢**كم للأقاليم التابعة للهند. «الموسوعة العربية».

(٣) أي مقدار: مليونين، وهذا التقدير في ذلك العصر بصورة تقريبية؛ لعدم وجود إحصاء دقيق، مع أنه أكثر من هذا المقدار، أما الآن فيقدر بستة وعشرين ميلونًا، لا سيما بعد توحيد شطريه عام (١٤١٠)= (١٩٩٠). وإجراء الإحصاء، من قبل الدولة.

(٤) أي مقدار: أربعمائة مليون، وهذا التعداد قديم، وأما الآن فيقدر عدد السكان في الهند نحو **١,٠٢٢,٠٢١,٠٠٠** نسمة (**١٦%** من سكان العالم). «الموسوعة العربية».

مستطيلة من شماله إلى جنوبه، والبلد الذي أنا فيه شرقي اليمن بجنوب، أعني أن الرجل عندكم إذا استقبل الشمس فقد استقبل الهند، وتكون حيدر أباد حينئذ على جبينه الأيمن تقريبًا.

والهند عمومًا أرض خصبة تصلح لزراعة جميع الأنواع، وفيها معادين كثيرة، ويُصْنَعُ فيها الأقمشة وغيرها، وغالب طعام أهلها الأرز، والبر أقل منه، وهواؤها معتدل، مع ميله إلى شدة الحر في الصيف، وشدة البرد في الشتا، والصحة فيها طيبة.

والمسلمون فيها كثير[1]، وأكثرهم على مذهب أبي حنيفة.

وقد نشأت فيهم فرقة يقال لهم: أهل الحديث[2]، لا يتقيدون بمذهب، بل يختارون من كل مذهب ما ظهر لهم أن دليله من الكتاب والسنة أقوى.

ولهم شغف عظيم بكتب الشوكاني، وابن الأمير، وابن الوزير[1]، وولدكم يحب هذه الفرقة، إلا أن الغالب عليهم الجهل، فأما أصل الطريق التي اختاروها فهي الحق، وليس فيها دعوى اجتهاد، وإنما هو

---

(١) يبلغ عدد المسلمين في الهند حسب بعض التقادير المعاصرة: مائة مليون (١٥٪ من السكان).

(٢) حامل راية هذه الجماعة المباركة هو الشيخ صديق حسن خان المتوفى سنة (١٣٠٧)، والمحدث نذير حسين الدهلوي المتوفى سنة (١٣٢٠)، وتخرج منها علماء أعلام، وجهابذة كرام، أثروا المكتبة الإسلامية بنشر أُمَّات مراجع علم الحديث بجناحيه: الرواية والرواة، ولقد أثنى علماء العصر على جهودهم، حتى قال العلامة محمد رشيد رضا: ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق، فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل هذا القرن الرابع عشر» مقدمة «مفتاح كنوز السنة» وقال العلامة المحقق عبد العزيز الخولي: ولا يوجد في الشعوب الإسلامية على كثرتها واختلاف أجناسها من وفَّى الحديث قسطه من العناية في هذا العصر مثل إخواننا مسلمي الهند، أولئك الذين وجد بينهم حفاظ للسنة دارسون لها على نحو ما كانت تدرس في القرن الثالث، حرية في الفهم ونظر في الأسانيد. "مفتاح السنة" (١٦٥-).

انظر في تاريخ هذه الجماعة المشكورة، وتاريخ أعلامها ومعالمها: "الحركة السلفية ودورها في إحياء السنة" لـ عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، "جهود محدثي شبه القارة الهندية الباكستانية في خدمة كتب الحديث المسندة المشهورة في القرن الرابع عشر الهجري"، لـ سهيل حسن عبدالغفار، "خدمة الحديث في باكستان والهند لعلماء أهل الحديث" لـ إرشاد الحق أثري.

تقليد عن بصيرة، وهي التي أوصى بها الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: إذا صح الحديث فهو مذهبي.[٢] وغير ذلك مما نُقل عنه، ونُقل مثله عن جميع الأئمة[٣]، وبه جاء القرآن، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩].

---

(١) ابن الأمير الصنعاني هو البدر الثالث في سماء اليمن في فلك الاجتهاد، قبله:

الإمام المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير المتوفى سنة (٨٤٠) مؤسس مدرسة الاجتهاد، بلا مدافع، وحامل راية الإصلاح بلا منازع.

وبعده: خاتمة العِقْد شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة (١٢٥٠). رحم الله الجميع وجمعنا بهم في جنات النعيم.

قام هؤلاء الأبطال بإصلاح حال الناس بالتآليف والدروس، فقامت بينهم وبين متعصبي زمانهم حرب ضروس، والتفاصيل مبسوطة في دواوين وطروس.

(٢) قال السبكي في كتابه: "معنى قول الإمام المطَّلبي: إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي" (٧١): وهو قولٌ مشهور عنه، لم يختلف الناس أنه قاله، وروي عنه معناه أيضاً بألفاظٍ مختلفة.

قال ابن حزم: أي: صح عنده أو عند غيره من الأئمة. انظر: "قواعد التحديث" (٥٢)، "أصل صفة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" للألباني (١/ ٢٩)، كلاهما عن الشعراني في "الميزان" (١/ ٥٧)، ولم أجده فيما وقفت عليه من كتب ابن حزم.

(٣) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تحقيق الكلام في المسائل الثلاث " المطبوع ضمن آثاره (٤/ ٨٨): تواتر عن الأئمة من قول كل منهم: (إذا صح الحديث فهو مذهبي) أو معناه. اهـ.

وقال ابن عابدين: فقد صح عن أبي حنيفة أنه قال: (إذا صح الحديث فهو مذهبي)، وقد حكى ذلك الإمام ابن عبد البر عن أبي حنيفة وغيره من الأئمة؛ ونقله أيضًا الإمام الشعراني عن الأئمة الأربعة.

وقال بكر أبو زيد: اتفق الأئمة الأربعة- رحمهم الله تعالى- على منع تقليدهم، وما من إمام منهم إلَّا وقال: (إذا صح الحديث فهو مذهبي)

انظر: "الذخيرة" (١/ ١٥٤)، "جزء من شرح تنقيح الفصول في علم الأصول" (٢/ ٥٠٨) كلاهما للقرافي "رَسْم المفتي" لابن عابدين، المطبوع ضمن "رسائله" (١/ ٤)، "رد المحتار" (١/ ١٦٧)، "إيقاظ همم أولي الأبصار" (٦٢)، "المدخل المفصل" (١/ ٧٢).

واتفق المفسرون[1] أن الرد إلى الله تعالى هو الرد إلى كتابه، وأن الرد إلى رسوله هو الرد إليه في حياته وحظوره، والرد إلى سنته في غيبته وبعد وفاته.

والمحققون من أصحابنا الشافعية[2] على هذا الطريق، وأدلته مثل الشمس، وإنما ذهب بعض المتأخرين إلى وجوب التزام مذهبٍ معينٍ خشية ممن يدعي العلم ولا علم له ولا دين، فيصير يتخير ما يوافق هواه، لا ما يوافق الدليل، مع أنهم نصوا على جواز تقليد غير الإمام.

قال[3]:

وَجَـــازَ تَقْلِيـــدٌ لِغَـــيْرِ الْأَرْبَعَـــهْ فِي حَـــقِّ نَفْسِـــهِ فَفِـــي هَـــذَا سَـــعَهْ

وقالوا: إن المقلد إذا رأى دليلاً قويًا يخالف مذهب إمامه، ينبغي له أن ينظر الإمام الذي قال بمقتضى ذلك الدليل، فيقلده.

وبالجملة فهذه المسألة واضحة، وسياق أدلتها يطول.

---

(١) قال أبو العباس ابن تيمية: والأصل الذي اتفق عليه علماء المسلمين أنما تنازعوا فيه وجب رده إلى الله والرسول. وذكر الآية.

وقال ابن القيم: وأجمع المسلمون على أن الرد إلى الله- سبحانه- هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول (هو الرد إليه في حضوره وحياته وإلى سنته في غيبته وبعد مماته..

وقال الشاطبي: وهكذا فعل الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ لأنهم كانوا إذا اختلفوا في مسألة ردوها إلى الكتاب والسنة، وقضاياهم شاهدة بهذا المعنى، لا يجهلها من زاول الفقه، فلا فائدة في جلبها إلى هذا الموضع لشهرتها، فهو إذا مما كان عليه الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

انظر: "مجموع الفتاوى" (٣٣/ ٣٢)، "إعلام الموقعين" (١/ ١٧٤)، "الاعتصام" (٣/ ٣٨٢).

(٢) هذه إشارة إلى أن العلامة المعلمي كان شافعي المذهب، بمعنى التأطر والمنهجية في التلقي، وليس التعصب الأعمى، فهو يدور مع الدليل، وهكذا درج علماء الأمة من بعد عصر الأئمة الأربعة على التأطر في مذهب لسلامة الترقي في معارج العلم، حتى يصل إلى درجة الاجتهاد، فيدور مع الدليل. وللكلام بسط ليس هذا محله.

(٣) ذكره القيلبوبي في "الحاشية" (١/ ١٣)، والألوسي في "جلاء العينين" (١٩٧)، ولم يسميا قائله، فالله أعلم.

وفي الهند أيضًا: فرقة أخرى تُسمى: أهل القرآن، ينكرون الحديث رأسًا، ولهم في ذلك أعذار، ولا يعترفون إلا بالقرآن، ثم يفسرون القرآن على هواهم، وهؤلاء هالكون، وغرضهم الانحلال من القيود الدينية، والعياذ بالله[1].

وفرقة أخرى يقال لهم: القاديانية والأحمدية، كان رجل يقال له: غلام أحمد، ببلد يقال له: قاديان في الهند[2]، وكان عنده طرفٌ من العلم، وشيءٌ من التصوف، وفي آخر أمره صار يشطح بشيءٍ من

---

(١) هذه المقولة المخذولة ظهرت في بداية القرن الثالث عشر، وكانت «ولادتها في العراق وترعرعت في الهند، وإنِّ بدايتها لتعود في الهند إلى سيد أحمد خان ومولوي جراغ علي، ثم كان فارسها المقدام مولوي عبد الله جكرالوي ثم تَسَلَّمَ الراية مولوي أحمد دين امرتسري ثم تقدم بها المولى أسلم جراجيوري وأخيرًا تولى رياستها غلام أحمد برويز الذي أوصلها إلى ساحل الضلال»، بإنكار كل تشريع أو خبر لم يذكر في القرآن، وإليك أبرز أفكارهم:

١- اعتبار القرآن الكريم المصدر الوحيد للشريعة الإسلامية دون سواه.

٢- استبعاد كل المصادر الأخرى للشريعة الإسلامية كالسنة، والسيرة والتفسير والقياس والاجتهاد وسير الصحابة والإجماع وفتاوى الأئمة.

٣- ادعاؤهم بأن الصوم في شهر شعبان، وليس في رمضان.

٤- اعتبارهم أن الكعبة صنم، وأن الطواف حولها من طقوس الوثنيين في الجاهلية.

٥- تبني نظرية (مركز الملّة) التي تعني أن الآيات التي تأمر بطاعة الله ورسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ غير مختصة بهما، إنما تعني طاعة الحاكم أو الإمام الذي يتولى منصب النبي صلى الله عليه وسلم من بعده.

وقد أعطوا لهذا (المركز) صلاحيات تعيين حكم الشرع في الأحكام التي لم يرد ذكرها في القرآن، دون أن يلتزم بما سبقته من الأنظمة، والتمتع بالتحريم والإطلاق والتقييد لما يراه غير موافق لظروفه من الأحكام القرآنية.

وغير ذلك من الأباطيل، انظر: «القرآنيون وشبهاتهم حول السنة»، «شبهات القرآنين»، وغيرها.

(٢) ولد هذا الضليل في قرية قاديان، إحدى قرى مقاطعات البنجاب عام (١٢٥٦)، ويمكن تلخيص عقائد هذه الفرقة المخذولة على النحو التالي:

١- الاعتقاد بأن عيسى عليه السلام هاجر بعد موته الظاهري إلى كشمير في الهند؛ لينشر تعاليم الإنجيل في البلاد، وأنه توفي بعد أن بلغ من العمر ١٢٠ عامًا، وأن قبره لايزال موجودًا هناك.

٢- الاعتقاد أن غلام هو المهدي الذي حلّ فيه النبيّان عيسى ومحمد ـ عليهما السلام ـ على السواء، ومن ثم يأتي زعم القاديانيين بأن غلامًا هو المهدي والنبي معًا.

شطحات الصوفية، إلى أن ادعى النبوة مع ضربٍ من التأويل، يقول: إنها نبوة ظلِّية، مقيدة بشريعة الإسلام، ليس فيها تجديد شيءٍ من الأحكام، وأنكر نزول عيسى، وخروج المهدي، وزعم أنما جاء في الحديث من نزول عيسى، هو رمز إلى غلام أحمد هذا، وكذلك ما جاء في خروج المهدي، ثم نُقل عن كتبه أنه يشتم كلمة الله عيسى ابن مريم، وأمه عليهما السلام، إلى غير ذلك من الشنايع، ويتأول القرآن

٣- جاء في كتاب حقيقة النبوة الذي ألفه الميرزا بشير أحمد، الخليفة الثاني: أن غلام أحمد، أفضل من بعض أولي العزم من الرسل.

٤- وجاء أيضًا في صحيفة الفضل القاديانية أن الغلام هو محمد [3](برأه الله وطهرّه مما يقولون).

٥- الاعتقاد بعدم جواز الصلاة على المسلم الميت ما لم يكن قاديانيًا، ومن ثم فإنهم يحرمون دفن المسلمين في مقابر القاديانيين.

٦- لا يجيزون نكاح المسلم من القاديانية، ما لم يؤمن بمذهبهم بدعوى أن غير القادياني كافر، لأنه ـ فيما زعموا ـ لم يؤمن بالغلام أحمد. وقد جاء في كتاب بركات الخلافة لمحمود أحمد القادياني أنه لا يجوز لأي قادياني أن يزوِّج ابنته لغير القادياني لأن هذا أمر جماعته. وقد جاء في نفس هذا الكتاب أنه يجوز أخذ بنات المسلمين والهندوس والسيخ للقاديانيين، ولا يجوز إعطاؤهم، ومن أعطى من القاديانيين ابنته لواحد من المسلمين يطرد من الجماعة ويُكَفَّر.

٧- لا تصح الصلاة خلف غير القادياني، بل ولا تجوز الصلاة في غير مساجد القاديانيين. وإذا وقعت صلاة خلف غير قادياني أو في غير مسجد قادياني، فإنه يتعين إعادتها. وفي هذا، يروي ابن الغلام محمود أحمد واقعة حدثت له في رحلة للحج عام ١٩١٢م، فيقول: أدركتنا الصلاة أنا وجدي لأمي فسُدّت الطريق من الازدحام وبدأت الصلاة، فأمر جدي بأن ندخل في الصلاة، فدخلنا وصلينا، وحينما رجعنا إلى البيت قال جدي: هيا نصلي الصلاة لله التي لا تُصَلّى خلف غير القادياني.

وبلغ من تشددهم في ممارسة معتقداتهم أنه عندما مات القائد محمد علي جناح وحان ميعاد الصلاة عليه، رفض ظفر الله خان الذي كان وزيرًا للخارجية الباكستانية آنذاك أن يصلي عليه. والسبب أن ظفر الله خان هذا كان قاديانيًا.

ومن الناحية الحركية، فإن للقاديانيين جانبًا تنظيميًا محكمًا، فهم يستطيعون دفع عناصر قيادية إلى قمة المراكز والمواقع المهمة. ومركز القاديانية الرئيسي كان في منطقة تسمى الربوة بباكستان. ولهم مركز ودعاة في أمريكا وأوروبا وإفريقيا والشرق الأقصى. ولهم صحف ومجلات وكتب ومدارس ومستشفيات. ومن أشهر رجالات القاديانية نور الدين البهيروي ومحمد أحمد غلام والخواجة كمال الدين، وغيرهم. انظر: «القاديانية دراسات وتحليل»، «الموسوعة العربية».

والحديث، وفسرَّهما على حسب هواه، وتبعه قومٌ كثير، وقد هلك، وله أتباع إلى الآن، لا يزالون يزيدون، ولهم دعاة في جميع بلدان الهند، بل وفي بلاد الإنكليز، والإمريكان، وغيرها، وأتباعه الآن فرقتان:

***فرقة متبعة له على ظاهر أقواله.**

***وفرقة معتدلة، يقولون: ليس هو بنبي، وإنما هو مجدد، ويتأولون كلماته الشنيعة بتأويلات بعيدة، ويحتجون أن من قبيل تلك الكلمات كلمات، قد نُقلت عن أكابر الصوفية، كالشيخ عبد القادر الجيلاني(١) وأبي يزيد البسطامي(٢) وابن عربي(٣) وغيرهم، فلما تأول كثير من العلماء كلمات أولئك الكبراء، ولم يمنعهم صدروها عنهم، من تعظيمهم، واعتقاد ولايتهم، فكذا ينبغي في شأن غلام أحمد.**

وعلى كل حال فبطلان نحلتهم واضح، ولكن غلب على المسلمين الجهل بحقيقة دينهم، حتى المدعي للعلم، كما غلب عليهم عدم الإيمان، والعياذ بالله تعالى.

وثَمَّ فِرَقٌ أخرى من رافضيةٍ وناصبيةٍ، وغيرهم.

وأكثر المسلمين المنتسبون إلى السنة والجماعة وعامتهم حنفية، وهم على قسمين:

---

(١) عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلي ، أو الجيلاني، أو الكيلاني، ولد سنة (٤٧٠)، وتوفى سنة (٥٦١)، قال عنه الذهبى: وفي الجملة: الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه، وسماه في بداية الترجمة شيخ الاسلام وعلم الأولياء. "سير أعلام النبلاء" (٢٠/ ٤٣٩- ٤٥١)، وانظر: "المنتظم" (١٠/ ٢١٩) ، "ذيل طبقات الحنابلة" (١/ ٢٩٠-٣٠١).

(٢) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان البسطامي، قال الذهبي: جاء عنه أشياء مشكلة لا مساغ لها، الشأن في ثبوتها عنه، أو أنه قالها في حال الدهشة والسكر .. ، مات سنة إحدى وستين ومائتين، وقيل أربع وثلاثين ومائتين.

انظر: "طبقات الصوفية" (٦٧)، "حلية الأولياء" (١٠/ ٣٣)، "صفة الصفوة" (٤/ ١٠٧)، "البداية والنهاية "لابن كثير (١١/ ٣٨)، "الرسالة القشيرية" (١٧)، "السير" للذهبي (١٣/ ٨٨).

(٣) هو محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الأندلسي المتوفى سنة(٦٣٨)، له كتاب "الفتوحات المكية" في نحو عشرين مجلداً، وله كتاب "فصوص الحكم" الذي قال عنه ابن كثير: فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح. له تصانيف كثيرة، وله شعر، وكلام طويل على طريق التصوف. انظر "البداية والنهاية" (١٣/ ١٦٧).

***قسم متمسكون بأصل مذهبهم، على ما هو مقرر في كتبهم الفقهية، ويذمون البدع ويحرمونها، إلا أن فيهم تعصيب لمذهبهم شديد، يحملهم على تحريف كثير من الآيات والأحاديث.**

***والقسم الآخر- وهو الأغلب- غلبت عليهم البدع في عقائدهم وعباداتهم وعاداتهم، واستولى عليهم الدجالون من المتصوفة، فبدلوا العقائد الإسلامية بكثير من عقائد المشركين، من الهنود، وكثير من عقائد النصارى، وكثير من عقائد الفلاسفة، إلى غير ذلك.**

وهكذا العبادات والعادات، حتى صار كل واحد من هؤلاء الدجالين يخترع ما شاء من العبادات، فيأخذها الناس عنه وكل من أنكر عليهم أو خالفهم قاموا عليه، ونسبوه إلى الوهابية[1] وإلى عدم محبة النبي ﷺ ، والصالحين، وغير ذلك، ومع أن هذا القسم هم أكثر المنتسبين إلى الإسلام عدًا فالصولة لهم، وكل من عنده شيءٌ من العلم والإيمان يخافهم على نفسه.

على أن شأن هؤلاء ليس بحديث، بل هذا حال أكثر العوام، منذ مئات السنين، حتى في مصر، والشام، والعراق، والحرمين، واليمن، وغيرها، وكثير من الكتب المؤلفة في العقائد، والتفسير، والتصوف، هي من ذلك القبيل، وفي اليمن من هذا شيءٌ كثير، ولا يسعني تفصيل ذلك، ولكن قد صح عن النبي ﷺ أنه كان يقول في خطبته كل جمعة: «إن أحسن الحديث كلام الله، وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[2] زاد في رواية: «وكل ضلالة في

---

(١) الوهابية نبز خصوم دعوة الشيخ المصلح: محمد بن عبد الوهاب النجدي المتوفى سنة (١٢٠٦)، وهذا النبز شنشة متبعة في كثير من بقاع الدنيا ضد دعاة الإصلاح للعقائد والعبادات.

قال العلامة عقيل بن يحيى الإرياني:

إن أنـــا نزهـــتُ إلهـــي عـــن ... الأنـــداد قـــالوا: أنـــت وهـــابي

لكـــنَّ لي بالمصـــطفى أُســـوة ... فقومـــه ســـمَّوه بالصـــابي

وعلق شيخنا العلامة إسماعيل بن علي الأكوع بقوله: ما زال هذا دأب أعداء السنة، فمن قبل كانوا يتهمون من يميل إلى العمل بالكتاب والسنة، بأنه: ناصبي، واليوم يتهمونه بأنه وهابي، فلا حول ولا قوة إلا بالله. «هجر العلم ومعاقله في اليمن» (١/ ٧٨) -إريان-.

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بلفظ: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى

النار»، وورد معنى هذا في أحاديث أخرى صحيحة، ومن كلام الصحابة وعملهم، وتشهد له آيات قرآنية، وغير ذلك من الأدلة.

فهو نصٌ في أن كل ما لم يكن على عهد رسول الله ﷺ من الدين فهو خارج من الدين، وإدخاله في الدين إحداث فيه، فهو من شر الأمور، وبدعة وضلالة، وفي النار، وليس من هذا ما كان من الوسائل، كتأليف الكتب، وبناء المدراس، فإن هذا لا يُدَّعى أنه من صلب الدين، وإنما يُقال: إنه وسيلة إلى الدين، فتأليف الكتب وسيلة لحفظ العلم، وبناء المدارس وسيلة لتسهيل تعلم العلم، وليُقَسْ على هذا.

ومن البدع الشائعة في اليمن وغيرها ما هو شركٌ صريحٌ، وما هو كفرٌ، وما هو فسقٌ، وإلى الله المشتكى.

ومن أحب أن يتخلص منها، فلا يُقْدِمُ على اعتقاد شيءٍ ولا عمل شيءٍ بقصد التقرب إلى الله تعالى حتى يكون على بينة منه، أنه مذكور في كتاب الله تعالى، مبينًا واضحًا، أو في الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ، ويتوقف عما عدا ذلك، ويُرْشِدُ أهله، وإخوانه، وغيرهم، إلى ذلك.

وقد أَلَّفتُ عدة رسائل في تحقيق هذا الأمر، ومرادي أن أطبعها، وأنشرها، ولكن إلى الآن لم تُسَاعِدِ الأقدار، أسال الله تعالى تيسير ما فيه الخير[1].

هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»، وهو حديث مشهور في مصنفات الحديث ودواوين السنة.

أما لفظ: وكل ضلالة في النار. فقد جاء في حديث جابر خارج الصحيح، من طريق ابن المبارك، عن سفيان، عن جعفر، عن أبيه، عن جابر، وليس في طريق وكيع، عن سفيان، به.

وقد جاء عن ابن مسعود موقوفًا عليه، عند الطبراني (٩/ ٩٧)، و البيهقي في "الأسماء" (١/ ٤٨٢)، واللالكائي في "أصول الاعتقاد" رقم (٨٥)، وهو مشهور عنه، مع أن أسانيده لا تسلم من مطعن.

(١) لعله يعني كتابيه: "حقيقة البدعة"، و: "صدع الدجنة في فصل البدعة عن السنة"، وقد طبعا مفردين، وضمن "مجموع آثاره" (٦/ ٥-)، ولله الحمد.

وفي الهند فرق كثيرة جدًا، من غير المسلمين، أكثرهم عددًا: أهل الهند الأصليون، وهم مشركون، يعبدون الأصنام، وقد اتضح لنا من حالهم حال مشركي العرب الذين بعث الله رسوله محمدًا ﷺ ليدعوهم إلى التوحيد، وحال المشركين من الأمم المتقدمة، فإن مشركي الهند يجعلون الأصنام على صورٍ يزعمون أنها صور الملائكة، ثم يعكفون على تلك الأصنام، يدعون الله تعالى عندها، ويتضرعون إليه، هذا هو شركهم، فلا يعتقدون في الأصنام أنفسها نفعًا ولا ضرًا، وإنما يزعمون أن تمسحهم بها، وعكوفهم عندها، ودعاؤهم الله تعالى لديها يقربهم إلى الله تعالى؛ لأنه سبحانه وتعالى يحب الملائكة، والملائكة يُسرون باحترام هؤلاء الأحجار المنقوشة عليها صورهم، وقد بين الله جلَّ ذكره هذا المعنى في كتابه، حيث حكى عن المشركين عبادتهم للملائكة وأنهم يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣].

وقال في آية أخرى: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾ [يونس:١٨].

ومشركوا قريش كانوا يزعمون أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك، ثم زعموا أنه ينبغي عبادة الملائكة؛ ليقربوهم إلى الله زلفى، ثم لما كان الملائكة غائبين عنهم، ولا يدرون كيف يعبدونهم، تعلموا من مشركي الأمم الأخرى جَعْلَ الأصنام، فجعلوا لبعض الملائكة صورًا حسبما خيَّل لهم الشيطان، ولبعضهم مشاهد، وسمَّوا كل صورةٍ أو مشهدٍ باسم ذلك الملك، على حسب ما يُوحي إليهم الشيطان، فكانوا يزعمون أن المقربين من الملائكة يقال لهم: اللَّات، والعُزَّى، ومنات. سموهم بأسماء الإناث؛ لزعمهم أنهم إناث، فجلعوا لكل واحدة من هذه الثلاثة صنمًا، أي: مشهدًا، وسموا باسمه كما يقال لصورة الفرس: فرس، ولصورة الأسد: أسد، ونحو ذلك، ثم أخذوا يعكفون على تلك المشاهد، أعني الأصنام زاعمين أن احترامهم يعطف عليهم قلوب الملائكة المذكورين؛ ليشفعوا لهم، عند الله تعالى، ويقربوهم إليه.

وإذا أحببتم أن تعلموا هذا المعنى يقينًا، فاقرأوا سورة النجم، متدبرين لها، ملاحظين مناسبة كل آية للتي قبلها، أو التي بعدها، فإنكم ترون هذا المعنى واضحًا جدًا، وتعجبون من غالب المفسرين كيف غفلوا عنه، مع أن في القرآن آيات كثيرة، ما يشهد له، وكذلك السنة والتاريخ.

وأرى أن تدبر سورة النجم كافٍ شافٍ وافٍ، على أن أصل وجود الأصنام في الأرض كان في قوم نوح، كما رُوي عن الصحابة، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [النجم:٢٣]، انظروا في «الخازن»[١].

وإذا تدبرتم هذا وذاك، مع الآيات التي نعى الله تعالى فيها على النصارى: عبادة عيسى عليه السلام، وغير ذلك، تبين لكم ما في أعمال المسلمين من هذا القبيل، وانظروا أيضًا في «كنز العمال»، أحكام المساجد، وكتاب الجنائز، يتبين لكم غير ذلك.

وبالجملة فالقاعدة المتقدمة مفيدة جدًا، وبالله التوفيق.

ثم إن غالب سكان الهند، هم هؤلاء المشركون، حتى إنهم أكثر من المسلمين أربع أو خمس مرات، وكلماتهم مجتمعة، وهمتم شديدة في تَعَلُّمِ العلوم الجديدة والحرف والصنايع، والتجارة، وجمع الأموال، وحالهم في هذا الأشياء أحسن من حالة المسلمين في الهند بكثير، وإلى الله المشتكى.

هذه صفات الهند العامة.

فأما الجهة التي أنا فيها، فإنه يقال لها: دكَّن، والمدينة: حيدر أباد[٢]، ومعنى: أباد: عمارة، والمراد بحيدر: أمير المؤمنين علي عليه السلام، أضافوها إليه تبركًا، فمعنى الاسم: عمارة حيدر، والإضافة في كلام العجم معكوسة.

---

(١) للمعلمي كتاب: "عقيدة العرب في وثنيتهم"، مطبوع ضمن آثاره (٦/ ١٥٥-).

(٢) حيدر أباد مدينة هندية، أنشأها: السلطان محمد قولي عام ١٥٨٩م وفي عام ١٩٥٦م، أعادت الهند تنظيم ولاياتها، وقسمت حيدر أباد بين ولايات بومباي (والمعروفة الآن بغوجارات وماهراشترا) ومَيْسور (المعروفة الآن بكارناتاكا) وأندرابرادش، وهي مدينة مكتظة بالسكان يفوق سكانها (٣٠) ميلون نسمة، وهي من معاقل العلوم الإسلامية، وبها العديد من المتاحف والكليات ومراكز الأبحاث وثلاث جامعات، ويعيش في المدينة المسلمون والهندوس، وأقلية من النصارى. وغالبية السكان يتحدثون لغة تليجو والأردو. وبها العديد من المصانع التي تنتج الدقيق والزجاج والورق، والسكك الحديدية والنسيج، وتربطها الطرق البرية والحديدية والجوية بمدن بومباي، وكلكتا، ودلهي، ومَدْراس.«الموسوعة العربية العالمية».

وهو بلد واسع، عامر، خصيب، ليس بجبال شامخة، ولا بوديان منخفضة، وإنما هو منبسط جبلي، فيها جبالٌ صغيرة، وغالب أرضه زراعية، وفيه مباني شامخة، ومياهه من المطر، سَدُّوا لها أسددًا عظيمة جدًا، يكاد يكون الواحد منها مد النظر، والماء سائر السنة، يخرج من هذه الأسدد، ويصفى بواسطة آلات مصنوعة لذلك، ثم يوزع إلى جميع البيوت، والمساجد، والشوارع، فيجدون في كل بيت أنبوبة موزعة على أمكنته، وفي كل مكان حنفية، يعني: لولبًا ملصقًا بالأنبوبة، أذا أراد أحدٌ الماء حرَّك غطاء الحنفية فينصب الماء، وإذا اكتفى حرَّك الغطاء ثانية فينسد.

وكذلك النور الكهربائي، لعلكم شاهدتوه في مصوع أو في البابور[1] عند حجكم، وهو نورٌ يتولد من قوة مخصوصة، لا ترى ولا تحس ولا تلمس، وإنما تعرف بأثرها، وفي البلد محلٌ كبير لألات هذا النور، ويتوزع إلى جميع البيوت، بواسطة سلك يشبه السلك التلغراف، ويَقْدِرُ الإنسان يجعل في بيته من السُرُجِ، ما شاء، وقوة السُرُجِ تختلف باختلاف الزجاجة، فمن الزجاجات ما يُضيء إضاءة مائة شمعة، وأقل وأكثر، وصاحب البيت يُعطي في مقابل الماء والنور مبلغًا من المال.

انتهى صورة الكتاب والحمد لله[2]

---

(١) لعلها: مُصَوَّع، من قرى مديرية عبس، في تهامة، على طريق حاج اليمن في ذلك العصر من بعض جهات التهائم. والبابور: هو السيارة الكبيرة، التي تحمل الأثقال، كانت من مراكب الناس المشهور في عصر المملكة المتوكلية، وبداية العصر الجمهوري، ثم قلَّ استخدامها للركوب، وأصبحت لحمل الأثقال.

(٢) وانتهيت من نسخه عند أذان ظهر الأحد الثامن من شهر الله المحرم سنة (١٤٣٨)، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، رحم الله الإمام المعلمي، وجمعنا به في جنات النعيم، مع نبينا الكريم ورسولنا العظيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الرسالة الثانية

الحمد لله

الأخ الفاضل الكريم حليف الوفاء أليف الصفاء شريف الأخلاق ما جد الأعراق، الفقيه:

محمد بن سليمان المعلمي حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصلني كتابكم الكريم المؤرخ (١٢/ ربيع الأول/ سنة/ ٥٨)[١]

وطيه كتاب سيدي الوالد حفظه الله، فجزاكم الله تعالى خيرًا، لقد كشفتم عني غمة كبرى، فإني منذ أمد بعيد أُوَاتِرُ [٢]المكاتيب بوسائط مختلفة، ولا يرجع إليّ جواب، وكنت في ارتباك شديد، لا أدري ألا تصل المكاتيب؟ أم لا تصل الجوابات؟ أم حدث حادث؟ أم سيدي الوالد غير راضٍ عني؟ أم ماذا؟

ولكن بوصول مكتوبكم مع مكتوب الوالد تبين لي أن مكاتيبي لم تصل (حنانيك بعض الشر أهون من بعض).

جزاكم الله تعالى خيرًا عما تقومون به من مراعاة خاطر سيدي الوالد، وهنيئًا لكم ذلك، وسوف ترون إن شاء الله تعالى بركة ذلك في الدنيا والآخرة.

تفضلوا أقرئوا سلامي على الشيخ الهمام سعيد بن أبي بكر معوضه، أطال الله بقاءه، وإني وإن سرني سروره بالتخلص من متاعب الوظيفة ومصاعبها، فقد غمني حرمان أهل الناحية من ولايته، فإن ولايته وإن كانت تعبًا عليه ففيها راحة لأهل الناحية، وإني لأتأسف من العوارض التي اضطرته مع همته القعساء وهمته الشماء، إلى أن يؤثر راحة نفسه على راحة أهل الناحية كلهم[٣].

---

(١) أي: سنة (١٣٥٨)، كما سيأتي في آخر الرسالة.

(٢) أواتر: أي: أُتَابِعُ. «مختار الصحاح» مادة: (و ت ر)، والمكاتيب: الرسائل. يعني: أنه يتابع إرسال الرسائل ولا يرجع له عنها جواب.

(٣) كان صالحًا أديبًا، مسموع الكلمة، نافذ القول، حازم الرأي، تولى أعمال ناحية عتمة وغيرها، وتوفي بصنعاء، ودفن بمقبرة خزيمة، سنة (١٣٧٧)، وتلا قبيل موته قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي

الأخ عبد المجيد لم أر الوالد ذَكَرهُ كما كان يذكره سابقًا، فأوجست في نفسي خيفة أن يكون قد قصر في خدمة الوالد، واشتغل عن ذلك بأمور الدنيا، فإن كان كذلك فأرجو منكم إذا اتفقتم به أن تعينوه على نفسه والشيطان، وتبينوا له أن الإخلال بخدمة الوالد في آخر عمره هو غاية الحرمان ونهاية الخسران.

وفي "صحيح مسلم"[1]: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رغم أنفه رغم أنفه، رغم أنفه، قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة».

وفي "جامع الترمذي"، و"مستدرك الحاكم"[2]: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد».

و"فيهما"[3] عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فحافظ على الباب أو ضَيِّع».

وفي "شعب الإيمان"[4] عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أصبح مطيعًا لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من الجنة، وإن كان واحدًا فواحدًا، وإن أصبح عاصيًا لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من النار، وإن كان واحدًا فواحدًا، قال رجل: وإن ظلماه؟ قال: وإن ظلماه، وإن ظلماه، وإن ظلماه».

و"فيهما"[5] عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كل الذنوب يغفر الله منها ما شاء إلا عقوق الوالدين» الحديث.

الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]، «نزهة النظر في تراجم رجال القرن الرابع عشر» (٤٧)، ومعلومات من والدي عافاه الله، ومن حفيده، الأخ: عادل بن عبد الله بن سعيد حفظه الله.

(١) برقم (٢٥٥١)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) "سنن الترمذي" برقم (١٨٩٩)، "المستدرك" (٤/ ١٦٨)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه غير واحد من العلماء.

(٣) سنن الترمذي برقم (١٩٠٠)، "المستدرك" (٤/ ١٦٨)، عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه غير ما عالم.

(٤)، برقم (٧٥٣٨)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وضعفه العراقي؛ لأنه من طريق عبد الله بن يحيى السرخسي وهو متهم.

(٥) "المستدرك" (٤/ ١٧٢)، "شعب الإيمان" برقم (٧٥٠٥)، عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والأحاديث في الباب كثيرة، وفي كتاب الله تعالى ما يُغني؛ إذْ قرن الله تعالى الإحسان إليهما بتوحيده، وشكرهما بشكره.

عظم الله أجر الجميع في الكريمة ميمونة، ورحمها، وأخلف لكم بخير.

ذكرتم أن سيدي الوالد لما مرض أرسل إليكم وأطلعكم على ما كتبه وما يريده بعد عافيته، فجزاه الله تعالى خيرًا، وهو أعلم بما يصلح، والخير فيما يراه إن شاء الله تعالى.

وقد أحسنتم بالإشارة عليه بتمييز ما لورثة الأخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الرسائل التي أَلَّفتُها لم تطبع إلى الآن، وكنت مؤملاً أن يساعدني الولد أحمد بن محمد، على تبييضها، ولكنه قام بشيء من ذلك، ثم أحسست بسآمته، وأرجو الله تعالى أن يُغني عنه، وييسر لي القيام بذلك.

أشغالي هنا كثيرة، لا أكاد أجد فرصة في اليوم إلا ساعة، أو نحوها، فثماني ساعات للخدمة، وثلاث ساعات للتدريس، حتى إنني لم أتمكن من أن أكتب إليكم جوابًا يُناسب كتابكم فسامحوا.

طَيُّ هذا جواب لسيدي الوالد، وفيه ما يُغني.

هذا والولد أحمد، وابني عبد الله يقرئانكم السلام، وأرجوا الله تعالى أن يصل هذا الكتاب، وتستقيم الواسطة، فتتصل المكاتبة.

أرجوا أن تؤكدوا على سيدي الوالد أن يحرر الجواب بسرعة، وتؤكدوا على الواسطة لديكم، أن يؤكد على الخادم في زبيد، في إرسال الجواب بأسرع ما يُمْكِنُ، لكي أطمئن بأن الواسطة قابلة للاعتماد.

هذا وأقرئوا سلامي على جميع الإخوان، والأقارب، وسامحوا، فعسى أن أتمكن في المستقبل من الكتابة إليكم كما يجب، والسلام. (٩/ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨)

الحقير عبد الرحمن المعلمي

بل لا حاجة أن تنتظروا جواب سيدي الوالد، يكفي أن تعرفوني بجواب منكم، حين تطلعون على هذا؛ لكي أطمئن باستقامة الواسطة. والسلام[1].

---

(١) وفرغت من نسخها بين الظهرين من يوم الاثنين التاسع من شهر الله المحرم سنة (١٤٣٨)، وبالله العصمة والتوفيق، وهو حسبي ونعم الوكيل.